بدعة مولد النبى صلى الله عليه وسلم

وغيره من الموتى والأحياء

بدعة وثنية قديمة . أدخلها الصوفية الوثنيون على المقلدين الجاهلين ، لإفساد العقيدة الاسلامية ، ومحاربة الله وكتبه ورسله . وأول من أدخلها فى الاسلام : بنو عبيد الله القداح الباطنية الملاحدة - المنتسبين الى فاطمة الزهراء زورا وكذبا - كما أنهم أول من بنى القباب والمساجد على القبور

بقلم

محمد حامد الفقى

رئيس جماعة أنصار السنة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده ، والصلاة والسلام على صفوته من خلقه ، وخيرته من رسله : محمد عبد الله ورسوله إمام المهتدين ، وسيد المتقين ، وخاتم المرسلين . وعلى آله الذين اهتدوا بهداه واستقاموا على سنته ، وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه . واجعلنا اللهم منهم برحمتك وفضلك ياأرحم الراحمين .

أما بعد ، فهذه كلمة فى تحذير إخوانى المسلمين من بدعة الأعياد الوثنية التى غرقوا بسببها فى بحر من الغفلة والذلة والمهانة والصغار ، لأنهم أعلنوا فيها بعبادة الشيطان ومحاربة الرحمن . وآمنوا بالجبت والطاغوت . واتخذوا القرآن وراءهم ظهريا ، وأسقطوا سنة الرسول الكريم وهديه من حسابهم الدينى ، وانسلخوا من آيات الله بالتقليد الأعمى ، فركبهم الشيطان وجرى بهم فى كل غواية وفسوق وعصيان . وهم الآن يتقلبون على نار هذا الفسوق والعصيان ، يسامون سوء العذاب على أيدى من كانوا بالأمس مشردين ، ضربت عليهم الذلة والمسكنة .

إنى أحذر قومى لعلهم يفقهون ويفيقون . (يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) وفقنى الله وإياكم إلى سبيل الهدى والرشاد ووقانا والمسلمين شر أنفسنا ، وشر أعدائنا المجرمين . وصلى الله على عبده ورسوله محمد خاتم المرسلين وعلى آله أجمعين .

بدعة الاعياد بذكرى مولد النبي ﷺ

قد جاء في حب النبي ﷺ من النصوص ما لايحتاج إلى إيضاح ولابيان ، ورأس ذلك ماروى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال « والذى نفسى بيده لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » وفى الحديث الآخر « حتى أكون أحب إليه من نفسه التى بين جنبيه »

والحب لرسول الله ﷺ بهذا لايكون فرضاً فحسب ، بل هو أحد أصلى الإيمان فان مبنى الإيمان وأساسه : على حب الله وحب رسوله . فلن يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

والحب حبان : حب وهمى خيالى ، وحب يقينى حقيقى ، أو حب كاذب ، وحب صادق . فالحب الوهمى الخيالى الكاذب : هو حب المقلدين الجاهلين الذين حرموا من العلم بمعرفة محبوبهم على حقيقته ، وصفاته التى تميزه عن غيره

والحب اليقينى الصادق : هو حب العارفين الذين أوتوا العلم بمعرفة محبوبهم وصفاته وخصائصه ، التى تميزه عن غيره ، تميزاً لا يقع معه وهم ولا اشتباه

ولطالما كان الحب الوهمى الخيالى هذا بابا من أوسع أبواب الشيطان التى أدخل منها فى القلوب الزيغ والالحاد والوثنية والشرك ، فانقلب المقلدون الجاهلون من حيث لايشعرون ألد أعداء من يدعون حبه ، وأشد الناس بغضاً له ، ولصفاته ولخصائصه التى ميزه الله بها عن غيره .

والمثل قائم ملموس فى النصارى الذين يزعمون ويقسمون جهد أيمانهم أنهم أشد الناس حباً للمسيح عيسى بن مريم عبد الله ورسوله ، وكلمته التى ألقاها إلى مريم وروح منه ، ونحن وكل عاقل لايمترى طرفة عين فى أنهم أبغض الناس لعيسى ، وأشد الخلق كراهية له ، ولصفاته التى ميزه الله تعالى واختصه بها . ذلك أنهم جهلوا عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، وجهلوا حقيقته وما امتاز به ، فكانوا من الضالين المضلين .

وما جرهم الشيطان إلى الغلو فى عيسى وأمه ، وقسيسهم ورهبانهم إلا بزمام هذا الحب الوهمى الخيالى الكاذب ، وما زال يقذف فى قلوبهم من الأوهام والخيالات الكاذبة حتى قالوا : إنه ابن الله ، وانه الله،واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، أشركوهم معه فى العبادة والتشريع ، وسبحان الله وتعالى . فركب الشيطان أقفيتهم ورفعهم بالغلو والاطراء ، حتى زعم لهم: أنه النور المنبثق من ربهم ، وأنه لذلك أول خلق الله ، ومازال يتنقل بالكلمة حتى حل لاهوته فى ناسوت ابن مريم . كما زعمت صوفية الهند والصين فى بوذا وبرهما ، وصوفية قدماء اليونان والمصريين فى معبوداتهم ومقدسيهم ، كما قال الله (يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون) سبحان الله وتعالى عما يقول أولئك الظالمون علواً كبيراً .

ولا يشك عاقل فى أن مسيحهم الذى يدّعون له هذا الحب الوهمى الكاذب إنما هو شخص خيالى وهمى أيضا لاحقيقة له فى الوجود أصلا، صوّرته فى رءوسهم القذرة ، ورسمته فى قلوبهم المظلمة الجاهلة : يد الشيطان عدو الله وعدو عيسى ، وعدو الأنبياء وعدو الانسان المبين .

فانه يستحيل كل الاستحالة أن يكون للمسيح الموصوف بالنور الاول و بالبنوة

لله ، و بصفات اللاهوتية المزعومة : وجود ولا حقيقة فى خارج هذه العقول السخيفة (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ، لقد جئتم شيئاً إدا ، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً ، أن دعوا للرحمن ولداً ، وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ، إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً ، لقد أحصاهم وعدهم عداً ، وكلهم آتيه يوم القيامه فردا)

أما عيسى الحقيقى : عبد الله ورسوله ، الذى جعل الله ولادته آية على عظيم قدرته سبحانه ، ومعجزة لابطال ما أدعوه فى ذلك العصر من التبحر فى الطب ، حتى فُتنوا وفتنوا الناس بذلك .

هذا النبى الذى هو عيسى ابن مريم ، الذى لم يقل لهم إنى النور الأول ، ولا إني المتولد المنفصل نورا عن الله . بل لم يقل لهم إلا ما أمره به الله : (إنى عبد الله أتانى الكتاب وجعلنى نبيا) (أن اعبدوا الله ربى ربكم) (فاتقوا الله وأطيعون ان الله ربى ربكم فاعبدوه) فالنصارى اليوم أشدعداوة له من اليهود ،وهم أشد عيباً له وشتما ممن رمى أمه السيدة الطاهرة مريم بالمنكر والزور . ولو أن عيسى عاد اليوم لكان أول من يحارب به و يرفع السيف فى وجههم هؤلاء النصارى الواهمون الكاذبون فى حبه ، ولكان أول من يقتل عيسى عليه السلام أولئك النصارى الضالون المضلون .

وأنت تراهم مع ذلك قد أكثروا من الأعياد والتذكارات لحوادث مسيحهم وأمه ولكل شأن من شئون هذا المسيح وأمه وللرهبان والقسيسين المنتسبين إلى مسيحهم، والزاعمين أنهم يحبون المسيح ، فلا يكاد ينتهى شهر إلا وفيه عيد أو أكثر ، و يفعلون فى تلك الأعياد أقصى ما يستطيعون ، و يبذلون من الأموال فى تلك الأعياد ، و يطعمون من الأطعمة الخاصة باسم تلك الأعياد ، و يوقدون

من السرج ، و يشعلون من الشموع ، و يقيمون من الزينات ومعالم الأفراح ، ابتهاجا وسروراً بتلك الأعياد والذكرانات أقصى مايستطيعون.وقد جعلوا لكل من تلك الأعياد طقوسا يرتلون فيها التراتيل ، و يترنمون فيها بالصلوات والمزامير، و يجتمعون لها فى الكنائس والمعابد والبيوت والمجامع ، وهى ـ عندهم ـ أهم عناصر دينهم ، وأقرب قرباتهم .

وهى أجلى مظاهر حبهم للمسيح ابن مريم ،وأعظم اجلالهم له ،ولدينه وشرعته وهى فيما زعموا خير طريق يسلكونها إلى مرضاة عيسى ومرضاة ربهم أبيه ، ليبلغوا بها إلى جنات الآخرة التى يقولون انها مقصورة عليهم ،وحرام على غيرهم، ولن يدخلها بزعمهم الفاسد إلا من كان نصرانيا على عقيدتهم هذه،وأعيادهم هذه وذكراناتهم للمسيح وأمه ، والقسيسين والرهبان .

وان كان هذا ـ فى الحقيقة ـ إنما هو إجلال وتعظيم للمسيح الخيالى الذى لا وجود له إلا فى أوهامهم ، وهو حرب عنيفة و بغض شديد ، ومبارزة بالعداء واللدد لعيسى ابن مريم عبد الله ورسوله ، ومحادة له ، ولشرعته ودينه ، وازراء عليه وعلى سنته ، وتكذيب فاحش له ، وتوقح شنيع فى الرد لما جاءهم به من الهدى والايمان وما دعا إليه من العلم والحكمة ، واخلاص الدين والعبادة لله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

وان تاريخ القسيسين و بتاركة النصارى ليحدثنا عن الدماء التى أريقت والنفوس التى أزهقت فى مجامع نيقة ، وافسيس ، والاسكندرية وغيرها فى سبيل طبيعة مسيحهم اللاهوتية والناسوتية وتقرير العقيدة ، التى يدعونها « الأمانة » والتى ابتدعها لهم قسطنطين الوثني اليونانى ، وقام عليها ذلك العداء المستحكم لعيسى ولدين عيسى ، ولشرعة عيسى عليه السلام ، إذ كان أولئك الذين أبيحت

دماؤهم، وتحولت الشوارع أنهاراً تجرى بتلك الدماء، ماقتلوا إلا لأنهم يحاولون رد فرية البنوة عن الله ، والقضاء على ما ابتدع قسطنطين فى شريعة عيسى عليه السلام من كفر وإلحاد، والابقاء على تلك الملة سليمة من هذه الأباطيل المحدثة، والعقائد الفاسدة . فكان جزاؤهم ما لقوا من أعداء عيسى الذين لبسوا خدعة وغشاً ثوب محبته ، وتراءوا با كباره واجلاله ، فارتقوا به من العبودية إلى الربوبية ، وقالوا فيه ما تكاد السموات تنفطر منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً .

ولقد كان لليهود فى إفساد دين عيسى بن مريم وازاغة النصارى عنه أكبر الأثر لأنهم أقسى الناس قلباً ، وأبعدهم عن الرحمة والخير ، وأعظمهم بغضاً لله وللأنبياء ولكل قائم بالقسط بين الناس. ولكن اليهود مع هذا ــ على طول الزمن ــ قد تأثروا أيضاً بما كان سلفهم قد دسه فى النصارى ، وشرع لهم أحبارهم أعياداً يضاهئون بها أعياد النصارى لما رأوا ما تجره هذه الأعياد من منافع مادية على القسس والرهبان ، فابتدع أحبار اليهود لعامتهم مثل هذه الأعياد ، وأخذوا يستغلونها لجر المنافع المالية ، والرياسات الدنيوية ، وجرى كلتا الأمتين ــ الغضبية والضلالية ــ على ذلك .

وقد كان لمشركى العرب ، وعبدة الكواكب والمجوس والهنود وغيرهم فى الجاهلية أعياداً وذكرانات ومواسم لآلهتهم ، أعتقد أنها كانت القدوة الأولى التى عمل اليهود على جر النصارى اليها ، والمنبع الأول الذى اقتبس منه اليهود ما أفسدوا به ملة عيسى بن مريم . كما أن اليهود والنصارى جميعاً إنما أخذوا عقيدة بنوة عزير ، والمسيح لله عن البوذيين ، والبراهمة الهنود والصينيين. وعن عقيدة مشركى المصريين القدماء الذين كانوا يزعمون أن فرعون ابن السماء ، أو ابن (رع) الشمس ، أو ما إلى ذلك . وقد قال الله تعالى (وقالت اليهود عزير

ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله . ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل . قاتلهم الله . أنى يؤفكون ؟)

وكن على ذكر من أن هؤلاء جميعاً إنما كانوا يقيمون تلك الأعياد ويحتفلون بها ، وينحرون ويطعمون ، ويلهون ويلعبون ، قصدا أولا إلى تعظيم من جعل له العيد من معتقديهم من البشر وغيره ، صالحيهم وغير صالحيهم ، وقصدا ثانيا إلى التقرب إلى الله باحياء ذكريات أحبابه وأوليائه ، وأن ذلك يحبه الله ويثيب عليه إكراما لأولئك الأحباب والأولياء ، وأن ذلك دين ورثوه عن الآباء والأجداد ، والقسس والأحبار والرهبان ، وهم أعرف بالله وأوليائه وأحبابه ومحبوباته وما يقرب إليه من كل أحد ، وأنه لاحق لأحد أن يسألهم من أين جئتم بهذا ، ولا عن أى دليل أو حجة عليه ؟ وإلا كان مطروداً من رحمة الله ، مسلوخا من الدين والعقيدة ، بل ومن الجنة أيضا ، وما على الناس إلا أن يكون مثلهم كمثل الذى ينعق بما لايسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لايعقلون وإلا سدت فى وجوههم أبواب الرحمة التى مفاتيحها بأيدى أولئك الأحبار والرهبان ، وأغلقت دونهم أبواب السماء التى لاتفتح إلا بواسطة أولئك القسس والبتاركة والرؤساء المحتكرين للدين ، بل وللجنة والآخرة ، وكان عدواً لله ملعونا فى السماء ، لأن بتاركة الأرض لعنوه ، وكان عدواً لأولئك الأحباب الذين تقام تلك الأعياد باسمهم ، والتى يتخذها أولئك الأحبار والرهبان شبكة لصيد المال والرياسة على حساب أولئك الذين ماتوا ، ولا يستطيعون الآن رداً لتلك الأكاذيب والأباطيل والدجل والنصب والاحتيال

وما كفاهم تلك البدع الخبيثة التى نشروها وحملوا الناس عليها بمختلف الأسباب والأساليب ، بل عمدوا إلى مايردها من النصوص ، أو يشير إليه

بطلانها ـ ولو من طرف خفي ـ فحرفوه عن موضعه أو غيروه واستبدلوه بغيره من عند أنفسهم يكتبونه بأيديهم و يقولون هذا من عند الله وما هو من عند الله . فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون .

وما زال الشر يتمادى بأولئك المبدلين لدين الله ، المحرفين لكتبه، المحاربين لأنبيائه ، المزيغين للعقائد ، المشترين بآيات الله ودينه ثمناً من حطام الدنيا ومتاعها قليلا يملأ الله به بطونهم ناراً وسعيرا ، وما زالت دائرة كفرهم وفسوقهم تتسع ، وشرر زيغهم يتطاير ، حتى أشعل في العالم نار الفتنة ، وعم الأرض والناس بذلك جاهلية استحكمت مخالبها في قلوبهم ، ووثنية ضربت على ربوعهم ونفوسهم ، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى هذه الطغمة المحتكرة لرحمة الله وفضله ، وثوابه وجنته ، ومن تبعهم على ذلك ومالأهم على ظلمهم واستبدادهم وطغيانهم ، وانتشر ظلام هذه الجاهلية الجهلاء حتى أصبح الناس في ليل بهيم من عمى القلوب والبصائر .

وآن أوان نزول الغيث من عند الله ، وانبثاق نور الهداية التى يخرجهم الله بها من تلك الظلمات إلى النور ، و ينقذهم من الضلال إلى الهدى ، و يفك عنهم أغلال أولئك الظالمين الطاغين ، ويهديهم سبيله المستقيم الذى يستحيل على الله أن يجعله احتكارا بيد شيخ أو حبر أو قسيس ، وكشف عن مخازى وجرائم أولئك الزاعمين أنفسهم خزان رحمة الله ، وعرفنا أنهم أبعد الناس عن رحمة الله، وأشقى الناس بعذاب الله وغضبه وشديد عقابه .

وما تنزل ذلك الغيث الرحمانى إلا على قلب خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين محمد ﷺ وما تفجرت ينابيع الحكمة والرحمة إلا على لسان ذلك الرسول الأكرم، فأحرقت شهبها شياطين الدجل الدينى ، وطواغيت الخرافات والعقائد الزائغة ،

و بددت مصابيحها غياهب تلك الظلمات ، وجلت عن القلوب صداها ، وأعادتها إلى صفائها الفطرى ، فعرفت ربها و بارئها ، وخلصت له دينها وذلها ، وأسلمت له له وجهها فى طاعة وانقياد ، لااستدراك ولا تـكمكم ، وسارعت إلى مغفرة الله ورضوانه ، وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

***

مهد الله تعالى لبزوغ شمس الرسالة المحمدية بمقدمات نبهت العقول إلى قرب مجيئه وأعدت النفوس وهيأتها لتلقى هذه الرسالة بما هى أهل له من التصديق والاذعان ، والاجلال والاعظام والاكبار .

فكان حدث أبرهة مع جيشه الكثيف ، وفيلته العظيمة ، واجرامه الفظيع فى محاولة هدم بيت الله العتيق ، وعجز قريش وجيران قريش وأحلافهم عن صده ورده ولجوئهم وفزعهم إلى الله على لسان شيخ قريش عبد المطلب ، إذ تعلق بأستار البيت ونادى ربه .

لاهُمَّ إن المرء يمنع رحله فامنـع رحالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

فمنع الله بيته ، ورد كيد عدوه فى نحره (وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول) لاكرامة لقريش ولا نصرة لهم ولشيخهم ، فلم يكونوا بشركهم ووثنيتهم الفاجرة ، وتلويثهم البيت الذى طهره ابراهيم للطائفين والعاكفين والركع السجود ـ بما نصبوا عليه وحوله و بداخله من صور وتماثيل آلهتهم التى اتخذوها من دون الله ، و إنما كان ذلك إكراما وتمهيدا لذلك المولود الكريم الذى سيولد فى هذا العام الولادة الأولى البشرية ، فيكون

المثل الأعلى فى طفولته لتربية النشء على الطهر والعفاف ، وعزة النفس وصيانتها عن كل ما يتسفل بها إلى درك الصغار والفساد ، والذى سيولد الولادة الثانيـة الروحية العلمية الرسالية ، فيحمى الله به هذا البيت العتيق ، ويطهره من تلك الأرجاس الشركية ، و يدفع عنه الهدم المعنوى الذى هدّ وقوّض من أركانه الدينية بمـا ألصقت به قريش من صور وتماثيل أوليائهم الذين (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون . أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون) .

فأبرهة كان يريد هدمه الحسى بنقض أحجاره ، وقريش كانت تهدمه الهدم المعنوى وتخربه الخراب الدينى ، فحماه الله من أبرهة عام مولد النبى ﷺ ليؤذن قريشا بفضل ذلك المولود العظيم الذى سيحيى الله به بيته العتيق من هدمهم المعنوى و يعمره بالإيمان بالله واقام الصلاة والطواف لله وحده والعكوف عنده لله وحده لا شريك له

• وقرن الله تعالى بميلاد ذلك المولود العظيم آيات بهرت العقول ، إرهـاصا بنبوته ، واعلاما بجلالتـه ، و إيذانا بفضيلته . وجعله يتيما لم ير أباه حتى يكون الفضل فى كفالته وتربيته وإيوائه لله وحده ، ليصنع على عين الله ، ويصاغ فى القالب العقلى والفكرى الذى يؤهله لوظيفة خاتم المرسلين وأتقى المتقين وأعلم العالمين بالله رب العالمين ، وسيد الداعين ، وأصبر المجاهدين وخير أولى العزم من الأنبياء الصادقين ، وأفضل قدوة وأحسنها للمهتدين إلى صراط الله المستقيم .

فهو فى ولادته الأولى : محمد بن عبد الله الهاشمى القرشى العربى : بشر ، ولد كما يولد البشر ، وطعامه وشرابه ومحياه ومماته ككل إنسان (يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) وقد قال الله الذى شهد خلق رسول الله وتكوينه وخلق السموات والأرض وخلق أنفس الناس وكل شىء (قل إنمـا أنا بشر مثلكم)

(وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون) (قل ما كنت بدعا من الرسل) (إنك مت و إنهم ميتون) (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ؟)

لقد حدّث النبي ﷺ ـ وهو أعلم بنفسه من كل إنسان مهما أوتى من علم ـ « إنما أنا بشر ، فلعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته فأقضى له » «إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » « لاتطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فانما أنا عبد الله ورسوله ، فقولوا عبد الله ورسوله » .

ألا فاشهدوا بأنى آمنت بقول الله عن رسوله و بشريته، وقول الرسول عن نفسه وعبوديته وكفرت بكذب الصوفية أعداء الله وأعداء الرسول القائلين على الله وعليه بغير علم ولا هدى ولا نور : أنه أول خلق الله، وأنه النور الذى منه خلق الله كل شىء ، وأنه نور عرش الله وأنه مكتوب على ساق العرش ، وأنه وأنه .. الخ تلك الأباطيل التى دسها اليهود واخوانهم وافتروها على الله ورسوله ، وموّهوا بهـا على الجاهلين ليضلوا منها إلى تكذيب القرآن فيما أخبر عن بشرية الرسول التى يماثل فيها جميع البشر ، و إلى تكذيب الرسول الذى يخبر عن نفسه بما يرد افتراءات أولئك الزائغين الضالين ، وان زعموا وزعم لهم شياطينهم أنهم أشد الناس حبا للرسول وتعظيما للرسول ، فما مثلهم إلا كمثل النصارى مع عيسى سواء بسواء ، حذوك النعل بالنعل ، فكن على بيّنة من أمرك ، واحذر أن تكون مع الصوفية الجاهلين المفتونين المخدوعين عن دينهم ونبيهم بخرافات وجهالات عششت وباضت وفرخت فى رؤوسهم وقلوبهم فحجبتها عن نور العلم النبوى، والهدى المحمدى الذى أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور ، وأفلح به أصحابه الصادقون والتابعون المقتدون والأئمة المهتدون والعلماء العارفون ، ولم يخطر مع هذا ببال واحد منهم تلك الفرى

الكاذبة ، فان ما أوتوا من علم و إيمان رد عنهم كيد شياطين الانس والجن ، فلم يستطيعوا أن يدسوا فى رءوسهم تلك الخزعبلات والجهالات ، وأغناهم فى معرفة الرسول واجلاله وتفديته بأنفسهم ما أفادهم من العلم والايمان ، وما أنقذهم من شرك ووثنية . ولقد كانوا من قبل لفى ضلال مبين . أولئك قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) .

نعم. محمد ﷺ بشر فى خلقه ، بشر فى ولادته، بشر فى طعامه وجسمه وشرابه، بشر فى محياه ومماته ، ولكنه لايستطيع عاقل ـ فضلا عن مسلم ـ أن ينكر أو يجحد أنه أعلى أنواع البشرية فى كل خصائصها ومزاياها . فروحه أطهر الأرواح ، وعقله أكبر العقول، ونفسه أزكى النفوس ، وفطرته أسلم الفطر ، وتفكيره أوسع أفقا من كل تفكير ، وفطنته أنبه الفطن ، ورجولته أكمل رجولة ، وشجاعته أقوى شجاعة ، وقوته أشد قوة، وقلبه أبر القلوب وأرحمها .

وبالجملة فكماله البشرى لم يكن ولن يكون له فيه مساو ولا ضريب ولامثيل .

وليس فى ذلك مثقال خردلة من غلو . فقد أخبر الله أنه على خلق عظيم و (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وأنه صنع موسى على عين عنايته ورعايته ، فأولى سيد الأنبياء وخاتم المرسلين . وحدثتنا سيرته ﷺ فى البخارى ومسلم عن كل ذلك وعن خير من ذلك .

* * *

ولد محمد ﷺ الولادة الثانية الروحية المعنوية ، النبوية العلمية ، بعد انقضاء أربعين سنة من عمره الشريف قد انقضت فى يقظة تامة ومعرفه الحقائق.

فى ليلة القدر من ليالى شهر رمضان المعظم ، بينما محمد ﷺ فى غار حراء يتحنث ـ والتحنث الابتعاد عن المآثم وما يوجب الحنث والعصيان ـ وقد فرّ

من مكة ومجالسها ومجامعها ، ومن أهل مكة ووثنيتهم وجاهليتهم ، وأخلاقهم الفاسدة وسيرتهم المعوجة ، حيث لايجد عنده من العلم ما يستطيع أن يرشدهم به ، ولا من الدين الحق ما يقدر أن يرجعهم به عن غيهم وكفرهم . فلم يجد لنفسه الحائرة ، وقلبه المفعم بالآلام لحال مكة وسكانها وجيرانها الأقربين والأبعدين ، إلا البعد عنهم حتى لا يرى ما يزيد فى لهيب تلك الآلام فى نفسه ، و يضاعف الهموم والأحزان التى أقضت مضجعه ومنعته لذة العيش فى ذلك الوسط المشرك .

وهكذا النفوس الطيبة ، والأرواح الطاهرة لايهنأ عيشها ، وتنعم بالحياة فى الأوساط الفاسدة ، فاما أن تبذل النصح وتعمل على الاصلاح ، واما أن تهجر ذلك الوسط وتفر منه ، ولو إلى الكهوف والغيران ، تنعم بوحدتها ، وتأنس بالطبيعة الساكنة وما فيها من المخلوقات الصامتة ترى فيها من آيات الله ، وخضوع العبودية ما لاتراه من الانسان الخصيم المبين لربه ونفسه .

فى ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر مضت على العالم فى ظلمة الجهل الحالكة ، وشقاء الوثنية الطاغية ــ تمخضت هذه الليلة عن ولادة النبوة ، وتكشفت عن السراج المنير الذى ملأ الدنيا نورا وهدى ورحمة .

فى ليلة القدر هذه بينما محمد ﷺ فى غار حراء ، غارق فى بحار التفكير فى خلق السموات والأرض ، وفى قومه والناس جميعا وضلالهم ، وفى نفسه وحيرتها أمام هذه الطرق الملتوية ، والسبل المعوجة المظلمة التى يسلكها الناس إلى ربهم ، وفطرته تأبى له أن يسلك شيئا من مسالكهم ولا ترضى لهم تلك المسالك ، وتحاول السمو إلى معرفة المسلك القويم والصراط المستقيم ، إذ فجأه الحق ، فقال . اقرأ . فقال ما أنا بقارىء ، يعنى : فانى أمى لم أتعلم القراءة ولا الكتابة ، وأين من القراءة والكتابة ناشىء قضى كل أوقاته فى رعاية الغنم والتجارة بين جبال مكة

وفى صحراء جزيرة العرب التى يقل فيها النبت والمرعى؟ فأخذه الملك وضمه إليه ضمة بلغت منه الجهد، وعصره عصرة كادت روحه تزهق معها. ثم خلاه، فقال: اقرأ فقال: ما أنا بقارىء، لقد أسمعتك أنى لست بقارىء، وأعلمتك أني لا أقرأ، فكيف تأمرنى بعدها بالقراءة؟ فأخذه وضمه الثانية أشد من الأولى، ثم خلاه وقال له: اقرأ. فقال: ماذا أقرأ؟ علمنى الذى أقرأه، فماذا تريدنى أقرأ؟ فضمه الثالثة أشد من الأوليين، ثم خلاه وقال له: (اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الانسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم)

فأخذه الدهش لتلك الفجاءة مع تلك العصرات الشديدات البالغات، فارتجف فؤاده، ورعدت فرائصه، وأسرع الأوبة إلى السيدة الطاهرة البرة الكريمة أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها، وقد كانت تنتظر تلك الساعة بفارغ الصبر، وتعد الأيام والليالى لها، لما كانت ترى على زوجها الكريم من مخائل النبوة، ولما كانت تسمع من ابن عمها ورقة من صفات النبي الخاتم الذى بشر به عيسى ابن مريم، وكانت لا تراها متمثلة إلا فى زوجها الكريم محمد ﷺ.

جاءها وهو على تلك الحال من الدهشة والرجفة، وقال «زملونى زملونى» وأخذ يستعرض مفاجأة جبريل بمفتاح الهداية، ومصباح النور الذى طالما تشوفت إليه نفسه التائهة، وقلبه الحائر، وأنه بذلك قد آن لنفسه أن تطمئن إلى هداية الله بذلك الوحى والقرآن له وللناس، وآن لقلبه أن يستريح من حيرته المضنية العنيفة إلى روح الله ونوره الذى يهدى به من يشاء إلى صراط مستقيم.

وأخذ يستعرض حال القلوب وما استحكم عليها من أغلاق الجاهلية والهوى، والتقليد الأعمى للآباء والأجداد. وهل من الممكن لذلك المفتاح الذى

وضعه الله فى يده أن يطلق القلوب من هذه القيود و يفتح هـذه الأغلاق ؟ إن ذلك لمن أشق الأمور وأحوجها إلى أقوى الجهود . لذلك ضمه جبريل تلك الضمات إشـارة إلى ما فى ذلك الحمل الذى حمّله الله إياه من ثقل (إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا) وما سينال فيه من مجهود شاق ، وجهاد عنيف .

ثم هدأت نفسه بعد ذلك الاستعراض ، واطمأنت إلى قول خديجة رضى الله عنهـا « كلا لن يخزيك الله أبدا » ووقر فى نفسـه يقين بأن الذى حمله ذلك الحمل الثقيل هو القوى العزيز ، وأنه لابد ناصره ومعينه بقوته وتوفيقه .

كان ذلك مبدأ الولادة الثانية لمحمد فكان رسول الله ، وخرج من ظلمات الحيرة التى طالما ضاق بها صدره ، ووضع عن كاهله ماكاد ينقضه من هموم التفكير الطويل فى طريق الوصول إلى الله ، والتفكير المضنى فى إنقاذ أولئك المساكين الذين أشقتهم وثنيتهم وجاهليتهم .

ثم مازال الوحى يتتالى ، والنبوة تنمو ، ونور الهدى والفرقان تتسع آفاقه حتى تمت كلمة ربك صدقا وعدلا لامبدل لكلماته وهو السميع العليم . وأتم الله نوره على كره من الكافرين . وجعل كلمته هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى والله عزيز حكيم . وأنزل ختام ذلك وآية تمامه ، و بلوغه الحد الذى لامزيد عليه فى الخير والهداية (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا)

* * *

وإن هذه الولادة الثانية لأجلّ قدرا وأعظم خطرا فى نفس رسول الله ﷺ وفى نفس المؤمنين والعقلاء من الولادة الأولى ، بل إنه لانسبة بينهما بحال . فلقد لبث بعد الولادة الأولى عمرا طويلا — هو أربعون سنة — محمد بن عبد الله

الهاشمي القرشي العربي لا يتلو شيئا من آيات الله ولا يعلم أحدا ، ولا يستطيع أن يزكي نفسا من أرجاس الشرك والوثنية . قال الله تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا) وقال (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، إذن لارتاب المبطلون . بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) وقال (لقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون) وقال (قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون ؟)

فما كان الفضل الأعظم ، والرحمة العامة الشاملة، والهداية التي أخرجت الناس إلى النور من محمد بن عبد الله ،وإنما كانت من محمد رسول الله . وما كانت هذه الرسالة إلا بعد تلك الولادة الروحية الثانية ، التي كانت ليلة القدر من شهر رمضان بعد بلوغه سن الأربعين.

فلئن كان شيء من هاتين الولادتين جديرا بالتذكير والإحياء فهي الولادة النبوية لا الولادة البشرية . وإنه لمن أوجب الفروض إحياء هذه الذكرى في قلب المؤمن ونفسه وبيته ومتجره ومصنعه ونظام معيشته وإدارة شئونه العامة والخاصة .

وإن من أقوى أسباب سعادة الأمة أن تحيي هذه الذكرى في حكومتها ونظامها وادارتها وقضائها ، وملكها وجميع شئونها الاقتصادية والسياسية والدولية ولن يكون ذلك الاحياء بالاحتفال يوماً معينا أوليلة واحدة من السنة . لا . وإنما يكون ذلك في كل وقت ولحظة ، وفي كل عمل وشأن ، تبقى هذه الذكرى النبوية ألزم للانسان من طعامه وشرابه ، لاتبرح قلبه ولا تخرج من نفسه ،لتكون هي المقومة لعمله ، والمهذبة لخلقه والهادية له في شئونه كلها إلى الصراط المستقيم وطريق الرشاد القويم .

هذه الذكرى الروحية تتصل بالروح والأخلاق والآداب لا بالظواهر الفارغة من شموع تضاء وخيام تنصب ، وطبول وزمور . فان هذه الولادة الروحية تمقت أشد المقت كل الزور وتكره أشد الكره تلك المظاهر الفارغة

ولقد وفق الصحابة والتابعون والأئمة المهتدون وسلفنا الصالحون رضى الله عنهم إلى الانتفاع بهذه الذكرى المجيدة وأحلوها من نفوسهم المحل الأرفع إيمانا، وهداية، وطاعة لله ولرسوله وأخلاقا كريمة ،وشدة على الكفار وتراحماً بينهم ،وركوعا وسجوداً وأمراً بالمعروف ونهيا عن المنكر ، وعدلا وانصافا ، وصدقا و برا . فكانوا بهذه الذكرى خير أمة أخرجت للناس .

وأعرضوا كل الإعراض عن ذكرى الولادة البشرية ، فلم يحتفلوا بها ولم يقيموا لها وزنا . لأنهم يعلمون أن فى شهر ربيع الأول كانت الولادة البشرية. وفيه كانت الوفاة البشرية . فأى الحادثتين يذكرون ؟ أما الولادة الروحية فلم تنقطع ولم تقبر ولن تقبر ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . ولا يزال فضلها وخيرها يعم أهل الأرض غضاً طريا كأول شأنه فى حياة رسول الله ﷺ البشرية .

والذكريات تحفز المحتفل إلى تعرف خصائص ومزايا هذه الذكرى وتحضه على البحث والتنقيب على ما امتاز به المحتفل بذكراه واختص به عن غيره. وتدوين تلك المزايا ونشرها و بثها فى الذكرى وفى الناس ليكون لهم منه قدوة نافعة ، وأسوة حسنة والذاكر يجتهد فى أن يصور تلك الذكرى بأقصى مايستطيع وأروع مايقدر ليكون لها فى النفوس الأثر الذى يريده .

فالصحابة والسلف الصالح رضى الله عنهم لشدة حرصهم على ذكرى الولادة النبوية الروحية يبذلون أقصى مايستطيعون فى حفظ أحاديث رسول الله ﷺ

ومعرفة أخلاقه النبوية ، وآدابه الرسولية ، و ينشرونها فى الناس ، ويتحملون فى سبيل نشرها فى نواحى العالم أشق الجهود وأبعد الأسفار . وما زالوا كذلك يفعلون حتى ملأوا الأرض بالهدى النبوى وعمت رحمة الله فى مشارق الأرض ومغاربها ، بفضل أولئك الذين كانوا يعرفون محمدا رسول الله ، لا محمدا البشر العربى . و يعرفون رسالته ، لا جسمه ، و يعرفون نورهدايته النبوية واشراق صحيفة ملته ، لا نور عينيه ، ولا بياض وجه وتورد خدّيه .

ثم أتى من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات . وعميت بصائرهم عن ذكرى النبوة ، فدس لهم أعداؤهم من اليهود والنصارى فتنة الاحتفال بذكرى البشرية وعظموها فى نفوسهم ، وشغلوهم بها كل الانشغال حتى لتكاد تعتقد أنها عندهم كل شىء فيتكلفون لها الأمور التى لا تعرف . و يتحدثون عنها ، و يؤلفون فيها مالا يرضاه مسلم عاقل عن نبيه ﷺ من قصائد تشبيب وغزل ، ومن وصف لتورد خديه ، وسواد عينيه ، وطول أهدابه ، ووصف لفمه ولبطنه ، ولكذا وكذا . وتفننوا مااشتهت نفوسهم المنحطة فى وصفه ﷺ حتى ليظن السامع والقارىء أنهم إنما يصفون امرأة حسناء ، لا نبياً هو أفضل خلق الله وأشرف رسل الله ، ولا إماما هو خير الأئمة شجاعة ومروءة وكرم أخلاق وسخاء نفس ، ولا مجاهداً فى سبيل الدعوة إلى الله . كان أكمل الأمثلة الصالحة للمجاهدين الصابرين المحتسبين الذين لا يخطر لهم ببال حظ أنفسهم ولا شهوة هواهم ، و إنما ملك نفسه حب الله وحب دين الله ، وحب الخير للناس أن يكونوا محبين لله ومحبين لدين الله ومهتدين بهدى الله .

فما أسمج تلك القصص التى يسمونها « موالد » وما أبعدها عن دين الله ، وما أعظم شرها فى تذكير الناس برسول الله ، وما أشدها فتكا بدين الله ، وما أقبحها فى تنفير الناس من محمد رسول الله الهادى إلى سواء السبيل ، وتعشيقهم

لمحمد الحلو الجميل أحمر الخدود ، وأسود العيون ، وممشوق القد ، ونحيل الخصر .
بئسما صنعت وتصنع ، و بئسما كانوا يصنعون .

لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان فى القلب إسلام وإيمان

* * *

قال ابن اسحاق : فشب رسول الله ﷺ يكلؤه الله و يحفظه ، ويحوطه من أقذار الجاهلية ، لما يريد من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أن كان رجلا أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا ، وأكرمهم حسبا ، وأحسنهم جوارا ، وأعظمهم حلماً ، وأصدقهم حديثا ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم عن الفحش والأخلاق التى تدنس الرجال ، تنزها وتكرما حتى سماه قومه الأمين

وذكر أبونعيم فى دلائل النبوة ، وغيره من أهل السير والتاريخ ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال « حدثتنى أم أيمن ـ حاضنة رسول الله ﷺ قالت : كان لقريش صنم تحضره وتعظمه ، وتنسك له النسائك ـ أى تذبح له الذبائح و يصنعون له الطعام كما يصنع الناس اليوم فى الموالد من ذبائح وأطعمة ـ و يحلقون رؤسهم عنده ، و يعكفون عنده يوما إلى الليل . وذلك يوم فى السنة : وكان أبو طالب يحضره مع قومه ، وكان يكلم رسول الله أن يحضر ذلك العيد مع قومه ، فيأبى رسول الله . حتى رأيت أبا طالب غضب عليه أسوأ الغضب فيقول : إنا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا ، وجعلنا نقول : ماتريد يامحمد أن تحضر لقومك عيدا ، ولا تكثر لهم جمعاً ؟ قالت : فلم يزالوا به حتى ذهب ، فغاب عنهم ماشاء الله ثم رجع الينا مرعوبا . فقلن عماته : مادهاك ؟ قال : إنى أخشى أن يكون بى لمم . فقلن : ماكان الله عز وجل ليبتليك بالشيطان . وفيك من خصال الخير مافيك . فما الذى رأيت ؟ قال : إنى كلما دنوت من صنم منها تمثل لى رجل أبيض

طويل يصيح بي : وراءك يامحمد، لا تمسه . قالت أم أيمن : فما عاد إلى عيد لهم »

لقد كان هذا في طفولته ﷺ، فأبى عليه ربه أن يحضر لهم عيداً (مولداً) من موالدهم ، ولا أن يشاركهم في زور من اجتماعاتهم التي كانوا يحيون بها ذكرى أوليائهم . وبغّض الله إلى قلبه أشد البغض تلك الأعياد والموالد الجاهلية التي صرفت الناس عن الله وعبادته إلى أولئك الموتى تعظمها من دون الله وتفزع إليها وتتمسح بما نصب على قبورها، كما بغض الله إليه كل ما كانوا فيه من فسوق ومعاص، ورذائل ونقائص ، حتى شرّفه الله وشرف الأرض برسالته ، فكان قد تمكن منه بغض تلك الأعياد والموالد ، وانجلى له كل الانجلاء ما كان لها من أسوأ الأثر في إفساد القلوب والعقائد ، وأنها ما تقام إلا لمحادة الله والكفر به ، وما يقصد منها إلا جرّ المغانم لأولئك الدجالين الطغاة الذين استعبدوا الناس واستولوا على قلوبهم فأفسدوها باسم أولئك الموتى ، وموالدهم وأعيادهم .

فقام رسول الله ﷺ في حرب هذه الأعياد أشد قيام ، وجاهد الدعاة إليها من سدنة أولئك الموتى أشد جهاد ، وما زال حتى طهّر الأرض منها ، ونكس أعلامها، وقشع عن القلوب غياهبها وظلماتها . وعرف الصحابة بنور العلم النبوي فساد ما كانوا فيه قبل من ضلاله وشقائه، فعاونوا رسول الله على إبطاله أعظم المعاونة ونصروه عليها وعلى المفتونين بها أعز نصر .

ثم كان رسول الله ﷺ يعرف من طباع الأمم وتحولها عن دين الحق ما رأى في اليهود والنصارى وقريش . ويزيده الله تعالى بذلك علما . ويخشى على أمته أن تتردى في مثل ما تردى فيه أولئك المرتدون . ويعلم الله أن أهل الكتاب لا بد أن يحاولوا رد كثير من المسلمين عن دينهم إن استطاعوا . وسيبذلون في ذلك كل ما يستطيعون . علم ذلك كله رسول الله ﷺ فحذر أمته أشد التحذير من تلك

الفتنة وخوّفها أشد التخويف من دسائس أهل الكتاب، وأعطانا سلاحا قويا ندفع به عن أنفسنا كيد أعداء الأنبياء من شياطين الجن والإنس . ذلك هو القرآن الذي تولى الله تعالى صيانته بنفسه، وضمن حفظه. والسنة المطهرة التي تركها فينا رسول الله ﷺ: من تمسك بهما فلن يضل ولن يشقى ومن أعرض عنهما فان له معيشة ضنكا. قال ﷺ « تركت فيكم ماإن تمسكتم به لن تضلوا بعدى : كتاب الله وسنتى » وقال « وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا . فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى . تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ. وإياكم ومحدثات الأمور . فان كل بدعة ضلالة » وقال « لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى لودخلوا جحر ضب لدخلتموه » وقال «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذّة بالقذة » وقال « لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى »

كل ذلك يدلنا دلالة واضحة على أن النبي ﷺ كان حذرا أشد الحذر على أمته من الافتتان بما سيوحيه شياطين الجن والإنس من زخرف القول وغروره ، رداً لهم عن دينهم ، وارجاعا لهم إلى الكفر بعد إذ أنقذهم الله منه . و بين لنا أن سبيل الشيطان إلى فتنة النصارى وغيرهم هى بعينها سبيله إلى هذه الأمة . وأن علينا أن ننظر فى أصل كفر هؤلاء ، وما أدى بهم إلى عداوة عيسى ابن مريم وغيره من الأنبياء . لنعرفه فنتقيه ونعلمه فنحذره . فان جهلنا ذلك . وقلنا : إن اليهود والنصارى وغيرهم كفروا لأنهم يهود و نصارى لا لأنهم غلوا فى عيسى ، ولا لأنهم شرعوا فى دين الله مالم يأذن به الله واتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ومعابد، واتخذوا لها الأعياد والذكرانات ، ولا لأنهم وضعوا فى أعناقهم أغلال التقليد الأعمى لقسيسيهم ومطارنتهم ورهبانهم. وأن قاعدتهم وعمدتهم فى الدين والعمل « حطها فى رقبة عالم واطلع سالم »

إذا جهلنا ذلك ولم نتبينه حق التبين وقعنا فيه شرا مما وقعوا ، واتخذناه نحن كذلك على مثل ما اتخذوه ، عملا صالحا وقربة إلى الله ، وخيرا نافعا : ولا يزال ذلك حتى يملك علينا قلوبنا ويصبغها بصبغة الهوى والوثنية ، فتنعكس فطرتها وتنقلب حقيقتها فترى المنكر معروفا والمعروف منكرا ، والصالح باطلا والباطل صالحا ، وأهل الخير والهدى أهل ضلال ، وأهل الضلال والزيغ أهل الخير والهدى وحينئذ يعمنا الله بعذاب من عنده وتحق علينا آية (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) .

ومن أجل هذا كله نجد القرآن الكريم قد كشف عن أحوال هؤلاء الكفار والمشركين وأسباب كفرهم وأعمال شركهم أتم كشف وكذلك السنة المطهرة ، لنأخذ العبرة ولنتقي ذلك ونحذره.

ومع هذا فقد حذر رسول الله ﷺ عن تلك الأعمال الجاهلية ، والأعياد الشركية نصاً صريحا لا يقبل التأويل ، ولا يصرفه عن مراده ومقصده ، إلا مشاق لله ولرسوله ، ومتبع غير سبيل المؤمنين ، فقال «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» قالت عائشة «يحذر ما صنعوا ، ولولا ذلك لأبرز قبره» وقال «لا تتخذوا قبري عيدا» وقال «لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والموقدين عليها السرج» .

وقال أبو الهياج الأسدي «بعثني عليّ رضي الله عنه وقال : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ ألا تجد قبرا مشرفا إلا سويته ، ولا تمثالا إلا طمسته» وقال غير ذلك كثيرا ، ولكن الناس اليوم غلبت عليهم اليهودية والنصرانية والجاهلية فطرحوا كل هذه النصوص وراء ظهورهم واتبعوا ما شرعه لهم أحبار هذه الأمة

ورهبانها وقساوستها من تلك الأعياد التى لم يأذن الله ولا رسوله بها ، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، يحلون لهم ماحرم الله ، ويحرمون عليهم ماأحل الله ، وبنوا على القبور المساجد ونصبوا عليها الستور ، ووضعوا عندها صناديق النذور ، واحتفلوا لها بالأعياد السنوية كل ذلك مضاهاة للمشركين الأولين ، وإماتة لسنة وشرعه سيد المرسلين. وطاعة للشيطان الرجيم

وزين لهم شياطين الجن والإنس ذلك بما أوحوا اليهم من زخرف القول : بأن ذلك تعظيم للنبى ﷺ ، وتعظيم لآل بيته وحب له وحب للصالحين . وكذبوا . فوالله ما هو إلا تعظيم للشرك والمشركين وحب للشيطان وحزبه الخاسرين ، وإلا فهل كان هؤلاء المفتونون الجاهلون الضالون فى آخر الزمن الذين يبيعون دين الله بأبخس الأثمان. ويشترون بآيات الله ثمنا قليلا: أعرف بفضل رسول الله ﷺ ومايعظمه من أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وبقية الصحابة والتابعين والأئمة المهتدين رضى الله عنهم –وهم أحرص على حب وطاعة الله والرسول– من هؤلاء الذين لا يعلمون الكتاب إلا أمانى؟ كلا والله وألف مرة كلا .

فما بال هؤلاء السلف أعرضوا عن تلك الأعياد . وعن تلك الأنصاب والقباب ؟ بل مابالهم كانوا يحاربونها ، ويهدمونها ويطهرون الأرض منها ؟ والله ماهى إلا القلوب التى طبع الله عليها . فأبغضت سنة رسول الله وحاولت إطفاء نور الله وبذلت فى ذلك الأموال لتبلغ غايتها. وتحيى ماأمات رسول الله وتميت ماأحيا رسول الله. وما كانت تلك القلوب الخبيثة المجرمة إلا قلوب مدعى الإسلام من اليهود والنصارى ومجوس الفرس لبسوا للناس ثوب الإسلام الظاهر ، حين رأوا أن ثوب الحرب لم يفدهم شيئاً . مع استمساك المسلمين بحبل الله المتين وعروة الله الوثقى .

فأعملوا فى القلوب والعقائد سلاح بدعهم وأباطيلهم حتى ظفروا بها بالجهل واستعمروها وتمكنوا منها ، فخربت من ذكر الله ، ومن دين الله ومن نور الله . فصرفوهم على

أهوائهم كما يشاءون ، ولعبوا بهم كما يريدون ، وأذلوهم بعد العزة ، واستبدوا بعد ذلك في الديار والأموال ، بعد ما استعبدوا القلوب والنفوس ببدعهم وضلالاتهم ورحم الله مالك بن أنس ورضى عنه إذ قال : « والله لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها »

هذه بدعة الأعياد الجاهلية باسم رسول الله ، وهو منها برىء ـ بأبى هو وأمى ـ وباسم آل بيت رسول الله ، وهم منها برآء . وهذه بدعة القباب ، ورفع القبور باسم آل بيت رسول الله ، وهم منها برآء . هذه البدع كلها : أول من ابتدعها الدولة اليهودية الباطنية المجرمة الخبيثة الفاسدة المفسدة دولة العبيديين المتسماة كذبا وزورا وخداعا وتغريرا باسم « الفاطميين » وهم برآء من فاطمة الزهراء عليها السلام وهي بريئة منهم . هم أول من أحدث قبة على القبر الذى بنوه بالقاهرة باسم الحسين رضى الله عنه . والحسين برىء منهم ومن قبرهم ، وزعموا كذبا أنهم أحضروا رأسه الشريف من المدينة إلى ذلك القبر ، ليموهوا على الدهماء والعامة ، وكذبهم التاريخ ولا يزال رأس الحسين رضى الله عنه بالمدينة لم يخرج منها ، وليس فى هذا القبر إلا هواء كما أن أفئدة العاكفين عنده والمعظمين له والطائفين به وعابديه هواء فى هواء .

ثم أول مولد أحدثه هؤلاء العبيديون الملاعين باسم الحسين رضى الله عنه . وكانوا يزخرفون هذا المنكر بكثرة ما يذبحون وما يطعمون من الطعام وما يخلعون من الخلع وما يبذلون من الأموال يشترون بها ذمم الذين باعوا دينهم فى سوق الدنيا لأولئك المجرمين ، واشتروا الحياة الدنيا بالآخرة . وكانوا يقيمون من الألعاب واللهو ما يفتنوا به العامة . وكانوا مع هذه الدعوى فى حب الحسين وآل الحسين يسبون أبا بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ على المنابر والمآذن وينادون بالإفك عن عائشة الصديقة بنت الصديق ، تكذيبا لما أنزل الله من براءتها . ثم يصلون على خليفة الشيطان باسم المذل لدين الله والهادم لشرعة رسول الله ﷺ . قبحهم الله وأذاقهم من عذابه وشديد عقابه ما هم له أهل .

وليس هذا من أولئك اليهود عجباً ، فهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا ، و إنما العجب أن يقلدهم فى ذلك من ينتسب إلى الإسلام. و يترك اتباع النبي ﷺ وصحابته واتباع على رضى الله عنه وآل بيته، هل يستطيع أحد أن يدعى أن علياً أحيي مولداً للنبى ﷺ ؟ أو أن الحسن والحسين أو أحد أولاد على رضى الله عنهم أحيوا مولداً لأبيهم ؟ وهل يستطيع أحد أن يقول : إن الحسن أو الحسين رضى الله عنهما بنوا على قبر أبيهم قبة ، ووضعوا عليه مقاصير النحاس المفضضة وستروه بأستار الحرير ، وأضاءوا عنده الشموع والسرج ؟

أليس هذا من أعجب العجب ، أن يكون على رضى الله عنه هو الذى وظفه رسول الله ﷺ فى هدم القبور العالية وتسويتها بالأرض وطمس الأنصاب و إزالتها ، ثم يجيء المجرمون فيقيمونها باسم على وأولاد على؟ اللهم إنى أشهد أن هذا أفجر الفجور، وأفحش الفحش، وأشهد أن علياً والمؤمنين من أولاد على رضى الله عنهم مبرأون من كل هذه القباب والمقاصير والأعياد والموالد الشركيات الجاهلية ، وأنهم لو بعثوا اليوم لكانوا أول من يهدمها و يحارب المعظمين لها والمحتفلين بها . ومهما زعموا زوراً و بهتاناً أنهم أشد الناس حباً لعلى وأولاده ، فهم فى الواقع الذى ينطق به القرآن والسنة وتنطق به سيرة على وأولاده ، أعداء على ، وأعداء أولاده وأعداء الله وأعداء رسول الله ﷺ ورضى الله عن أهل بيته كعداوة النصارى لعيسى

ووالله إن ذلك الحب المزعوم ، ما يتخذه أولئك السدنة الدجالون إلا شبكة يصيدون بها العامة والدهماء ليأكلوا أموالهم بالباطل. ولو أغلقت هذه الصناديق وأزيلت تلك القباب ، وأبطلت تلك الأعياد . وانقطع مورد السحت الذى يملأون به بطونهم. لو وقع هذا مافكروا فى على ولا فى أولاد على، ولا فى أحد من أولئك الموتى الصالحين، ولا خطر لهم ذلك ببال ، وهو لم يخطر لهم اليوم ببال، و إنما هو الدجل الذى

كان يتأكل منه رهبان النصارى وأحبار اليهود باسم أنبيائهم وصالحيهم ؛ طريقة واحدة سلكوها ، وشبكة واحدة أتقنوا صنعها ، و إنا لله و إنا اليه راجعون .

* * *

هذا ولم يزل علماء الإسلام ومصابيح الهداية الذين لم يستطع العبيديون ولا غير العبيديين أن يشتري ضمائرهم ولا ذممهم بمهما كان من مال أو وظيفة أو رياسة أو دنيا ، ولم تجد زخارف الشيطان إلى قلوبهم سبيلا ، لا يزال يشع على قلوبهم نور الإيمان والعلم النبوى ، ولا تزال نفوسهم حية قوية الحياة بروح القرآن وهدايته . ولم يزل أولئك العلماء المهتدون ، ولا يزالون قائمين على الحق ، واقفين لحزب الشيطان بالمرصاد قد أخذوا عدتهم ، وادرعوا السنة المحمدية ورفعوا سيف القرآن على عنق البدعة وأهلها، يعرضون بها فى كل وقت و ينادون بها فى كل مجتمع و بلد، و يصبرون على ما ينالهم من أذى ألسنة المبتدعين وأيديهم ، يقتدون برسول الله و إخوانه الأنبياء (ولا مبدل لكلمات الله) يقولون كلمة الحق عالية مهما آذت الخرافيين ؛ و يصكون فى وجوههم بسيرة السلف الصالح ، و إن كانوا لها كارهين ، لا يثنيهم عن ذلك تشنيع دعاة البدعة ، عمى الأبصار والبصائر ، ولا يهمهم مايشيعونه عنهم من بهتان مبين ، ولا يعبأون بما يزخرفون على الدهماء والعامة من أن فلاناً يكره النبى الله ﷺ لأنه يمنع من إقامة الموالد له ، و يبغض الحسين وآل البيت رضى الله عنهم، لأنه يكره ما أقيم على قبورهم من أنصاب وأوثان ، ومايفعله أمثال الأنعام عندها من دعاء المقبور واستغاثة به، وتقبيل الأحجار والمقاصير وتمسح بها وطواف حولها كل ذلك من التشنيع والتهويش لا يعبأ به أنصار سنة الرسول ﷺ ولا يعيرونه من نفوسهم أدنى التفات، ولا يزيدون على (قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور) لا يزال أولئك العلماء يقومون لله ولرسوله بمحاربة هذه البدع وتحذير الناس منها

فى كل زمان ومكان ابتغاء وجه الله ، لا يريدون من الناس جزاء ولا شكوراً ،ولا يخافون فى الله لومة لائم .

فمن أولئك العلماء الأجلاء الذين أنكروا بدعة مولد النبى ﷺ : الإمام أبو الوليد سليمان بن خلف الباجى من أئمة العلماء بالمغرب ، وشارح كتاب الموطأ . أحد شيوخ الإمام ابن عبدالبر الأندلسى . والمتوفى سنة ٤٩٤ . وقد سئل عن بدعة المولد فقال رحمه الله ، ورحمنا معه : — .

لا أعلم لهذا المولد أصلا فى كتاب ولا سنة ، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة فى الدين ، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطالون ، وشهوة نفس اعتنى بها الأكالون ، بدليل أنا إذا أدرنا عليه الأحكام الخمسة ، قلنا : إما أن يكون واجباً ، أو مندوبا ،أو مباحا ، أو مكروها ،أو محرما وليس هو بواجب إجماعاً ولا بمندوب ،لأن حقيقة المندوب ماطلبه الشرع من غير ذم على تركه ، وهذا لم يأذن فيه الشرع ولا فعله الصحابة،ولا التابعون ولا العلماء المتدينون فيما علمت .

وهذا جوابى عليه بين يدى الله تعالى إن سئلت عنه .

ولا جائز أن يكون مباحا ، لأن الابتداع فى الدين ليس مباحا بإجماع المسلمين فلم يبق إلا أن يكون مكروها أو حراما ،وحينئذ يكون الكلام فيه فى فصلين والتفرقة بين حالين : إحداهما: أن يعمله رجل من عين ماله لأهله وأصحابه وعياله ولا يجاوزون فى ذلك الاجتماع أكل الطعام، ولا يقترفون شيئاً من الآثام ، وهذا الذى وصفناه بأنه بدعة مكروهة وشناعة ، إذ لم يفعله أحد من متقدمى أهل الطاعة الذين هم فقهاء الإسلام وعلماء الأنام ، وسرج الأزمنة ، وزين الأمكنة .

والثانى : أن تدخله الجناية ، وتقوى به العناية ،حتى يعطى أحدهم السحت

ونفسه تتبعه وقلبه يؤلمه و يوجعه ، لما يجد من ألم الحيف . وقد قال العلماء : أخذ المال بالحياء كأخذه بالسيف، لاسيما إذا انضاف إلى ذلك شيء من الغناء مع البطون الملأى بآلات الباطل مع الدفوف والشبابات واجتماع الرجال مع الشباب المرد والنساء الفاتنات، أو مختلطات بهم أو متشرفات، والرقص بالتثني والانعطاف ، والاستغراق فى اللهو ، ونسيان يوم المخاف ، وكذلك النساء إذا اجتمعن على انفرادهن رافعات أصواتهن بالتهنيك والتطريب فى الإنشاد والخروج فى التلاوة والذكر عن المشروع والأمر المعتاد غافلات عن قوله تعالى (إن ربك لبالمرصاد)

وهذا الذى لا يختلف فى تحريمه اثنان ، ولا يستحسنه ذوو المروءة الفتيان . وإنما يحلو ذلك لنفوس موتى القلوب وغير المستقلين من الآثام والذنوب. وأزيدك أنهم يرونه من العبادات ، لا من المنكرات المحرمات ، فانا لله و إنا اليه راجعون « بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريبا كما بدأ »

* * *

أما بعد: فليست تلك الملاهى والمفاسد التى تقام باسم النبى ﷺ وليس مايعمله أهل الطرق الصوفية من رقصهم وغنائهم ، وألاعيبهم التى يضيعون لأجلها الصلوات ويهتكون بها المحرمات ، ويشاقون بها الله والرسول ، ليس شىء من ذلك مما يحبه الله والرسول، ولا كان يدعو اليه الرسول، وإنما كان من أشد ما ينهى عنه الرسول ﷺ

وإنما إحياء ذكرى الرسول ﷺ ـ كما قلنا ـ بإحياء العمل بسنته ، واتباع دينه والوقوف عند حدوده ، لا بتلك المهازل التى تدمى قلب الإسلام ، وتصيبه فى الصميم ، من فسوق وفجور وسفه وطيش ، وبدع وخرافات .

وإن أفضل ما تحيي به ذكرى رسول الله ﷺ فى هذه الظروف الحاضرة إمداد فلسطين الدامية ، ومساعدتها بكل مايستطيع ويملك المسلمون فى مشارق الأرض

ومغاربها ، وعلى الأخص مصر ، وأولى ثم أولى من تلك الملاهى والأنوار الكهربائية والألعاب التى تذهب فيهـا أموال طائلة إلى جيوب الاعداء الذين احتلونا بشركاتهم اقتصاديا — أن توفر هذه الأموال وتقدم مساعدة لفلسطين ، يشترى بها سلاح وعدة لدفع غائلة الحشرات اليهودية وأعوانها المجرمين الذين يقتطعون الأمة الاسلامية قطعة قطعة . والمسلمون لاهون فى أعيـادهم الوثنية وتهريجهم يستنزلون غضب الله بمحاربة رسالة رسوله ، ويحطمون قواهم بهذه المهازل والالعاب التى يفجرون أعظم الفجور بالصاقها برسول الله ﷺ .

وإنا لنرجو الرجاء كله أن يفيق قادة الأمة من هذه الغفلة اللاهية وأن يأخذوا الاسلام بقوة وجد كما أخذه الصحابة والتابعون والأئمة المهتدون . لعل الله سبحانه يغير مابهم إذا علم أنهم حريصون على أن تمحى هذه البدع والأعيـاد الجاهلية ، وأن تؤخذ الأمة بالشدة والقوة إلى الصراط المستقيم الذى سنه رسول الله ﷺ وأوصى الله تعـالى به فى قوله (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)

وفق الله الجميع لحب الرسول ﷺ وحب سننه ودينه الحب الصادق الذى هو ثمرة العلم والهدى والايمان ، والذى يبعثنا على طاعته وإحياء العمل برسالته . والتحاكم إلى ماجاءنا به من الهدى والشريعة الصالحة المصلحة ، والكفر بالطاغوت كله : لنكون من المفلحين .

وكتبه الفقير إلى عفو الله

محمد حامد الفقى


Bibliotheca Alexandrina
0558797